هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمنا لا يخاف كما قال تعالى : { وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا } وهكذا قال ههنا : { يأتيها رزقها رغدا } أي هنيئا سهلا { من كل مكان فكفرت بأنعم ا } أي جحدت آلاء ا عليها وأعظمها بعثة محمد صلى ا عليه وسلّم إليهم كما قال تعالى : { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار } ولهذا بدلهم ا بحاليهم الأولين خلافهما فقال : { فأذاقها ا لباس الجوع والخوف } أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء ويأيتها رزقها رغدا من كل مكان وذلك لما استعصوا على رسول ا صلى ا عليه وسلّم وأبوا إلا خلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه .

وقوله : { والخوف } وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفا من رسول ا صلى ا عليه وسلّم وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها ا على رسوله صلى ا عليه وسلّم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى ا عليه وسلّم الذي بعثه ا فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله : { لقد من ا على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم } الاية وقوله تعالى : { فاتقوا ا يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل ا إليكم ذكرا * رسولا } الاية وقوله : { كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد فبدل ا المؤمنين من بعد خوفهم أمنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة قاله العوفي عن ابن عباس وإليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحكاه مالك عن الزهري رحمهم ا .

وقال ابن جرير : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه أنه سمع مشرح بن هاعان يقول : سمعت سليم بن عتر يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى ا عليه وسلّم وعثمان Bه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل ؟ حتى رأت راكبين فأرسلت إليهما تسألهما فقالا : قتل فقالت حفصة : والذي نفسي بيده إنها القرية ـ تعني المدينة ـ التي

قال الله تعالى : { وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله } قال ابن شريح : وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عمن حدثه أنه كان يقول إنها المدينة